**مادة النص السردي المغاربي ـ السنة الثالثة، شعبة: دراسات أدبية. د/ محمد مداور.**

**المحاضرة الثالثة: قضايا الرواية المغاربية 3 (الرواية في تونس وليبيا وموريتانيا):**

سنسعى في هذه المحاضرة إلى بيان أبرز القضايا التي اشتغلت عليها الرواية في البلدان المغاربية الثلاثة: تونس وليبيا وموريتانيا، فقد ارتبطت الرواية بالواقع واشتركت في معالجته وتمثيله سرديا بشكل عام، حيث حاول بعض الكتاب التعبير عن مختلف التحولات التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي مرّت بها هذه البلدان. ومن أبرز هؤلاء الروائيين: محمود المسعدي وإبراهيم الكوني وأحمد ولد عبد القادر.

**أ/ الرواية التونسية:**

في سنة 1944 بدأ [**محمود المسعدي**](http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%B9%D8%AF%D9%8A) في نشر أجزاء من عمل سردي طويل وسمه بـــ "حدّث أبو هريرة قال" كتبه سنة 1939 جمع فيه بين أساليب السرد التراثي، وطرق قضايا وثيقة الصلة بعصر المؤلف وبيئته ارتقى في معالجتها إلى درجة عالية من العمق والتميز. ولم يصدر هذا الأثر كاملا إلا سنة 1973. وقد حققت هذه الرواية شهرة مغاربية وعربية وكانت منطلق النزعة الحداثية ومرجعها. وهكذا فإن مرحلة ما قبل [الاستقلال](http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84_%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3) وإن لم تظهر فيها أي رواية في كتاب - وهو ما جعل هذا الجنس الأدبي ضعيف التداول في الدورة الثقافية - فقد تشكلت فيها بوجه عام بذور أبرز الاتجاهات التي ستظهر بعد [الاستقلال](http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84_%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3) وهي: الرواية الوطنية والرواية الواقعية والرواية التاريخية.

تعد رواية "ومن الضحايا" (1956) [**لمحمد العروسي المطوي**](http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B7%D9%88%D9%8A) أول رواية تصدر بتونس بالمعنى الأوربي للكلمة، وهي ذات نزعة تاريخية تسجيلية ذات طابع تعليمي، تعالج قضايا الصراع من أجل استرجاع الأرض المغتصبة من الإقطاعيين، وقد تكرّست الواقعية النقدية باعتبارها اختيارا أدبيا في الرواية التونسية خلال الستينات والسبعينات. وتمثل العلاقة بين المدن والقرى وما ينجم عن الهجرة والنزوح من مشاكل ومشاعر، ثم تصوير أشكال الصراع الوطني والاجتماعي.

ومن أبرز الروائيين الذين يمثلون الاتجاه التاريخي والواقعي؛ [**البشير خريف**](http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B4%D9%8A%D8%B1_%D8%AE%D8%B1%D9%8A%D9%81) الذي كتب روايتين تندرجان ضمن الاتجاه التاريخي هما "برق الليل" (1961) و"بلاّرة" (1992)، وأما رواية "حبك درباني" التي صدرت متسلسلة بمجلة "الفكر" (1958- 1959) ثم في كتاب (1980) فتندرج ضمن التيار الواقعي. وأما في رواية "الدقلة في عراجينها" (1969) فقد ارتقى فيها إلى مستوى فنّي عال تجسد في قدرته الفائقة على التقاط الموحي من الأحداث وأوصاف الشخوص والأشياء وإرباك القارئ.

في الثمانينات اتجهت الرواية التونسية إلى التجريب وكسر القاليد السائدة في الكتابة الروائية وتجلى **النزوع التجريبي والحداثي** في عودة الكتاب إلى الاهتمام بالبحث عن الذات وإعادة بناء الهوية عبر محاورة الأنا والآخر تراثا كان أوغربا. ومن روايات هذا الاتجاه: "الرحيل إلى الزمن الدامي" 1981 لمصطفى المدايني؛ و"ن" 1983 و"أعمدة الجنون السبعة" 1985 لهشام القروي، و"النفير والقيامة" 1985 لفرج الحوار، و"مراتيج" 1985 و"تماس" 1995 لعروسية النالوتي؛ و"توقيت البنكا" 1992 لمحمد علي اليوسفي.

ومن التجارب الروائية التونسية التي شدت اهتمام النقاد تجربة الروائي **إبراهيم درغوثي** الذي مارس الكتابة الروائية التحديثي. ولعل الذي يبرر هذا الاهتمام النقدي المكثف أن الدرغوثي حاول استحداث طريقة خاصة في الكتابة تقوم على توظيف التراث الشعبي المحلي بالجنوب الغربي التونسي إضافة إلى التراث العربي في مماحكة السائد وخاصة الثالوث المحرم: الجنس والسياسة والدين. ويتجلى ذلك بوضوح في رواياته "الدراويش يعودون إلى المنفى" (1992) و"القيامة الآن" (1994) و"شبابيك منتصف الليل" (1996) و"أسرار صاحب الستر" و"وراء السراب قليلا" (2002).

**ب/ الرواية الليبية:**

تأخرت الرواية الليبية في الظهور مقارنة بباقي الدول العربية، وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وعلى الرغم من ذلك استطاع الروائي الليبي أن يواكب الحركة الأدبية في العالم العربي والعالم الغربي. وقد صدرت أول رواية بليبيا سنة 1961 وهي بعنوان "اعترافات إنسان" **لمحمد فريد سيالة**. وتمثل فترة السبعينات البداية الناضجة للرواية الليبية والتي تجلت في رواية "حقول الرماد" 1985 **لأحمد إبراهيم الفقيه؛** وهي رواية تتميز بطول نفسها القصصي المحكم البناء والحبك، وبدرامية البناء ومشهديته في مستوى الحدث والسرد، وبتنوع الشخصيات وتنوع علاقاتها وقدرتها على التجسيد الخيالي لتراتبية الهرم الاجتماعي بليبيا.

وقد واصلت الرواية الليبية تطورها وتجريبها مع روايات **إبراهيم الكوني**: "الخسوف" 1989، "التبر" 1990، "المجوس" 1991. وقد وظف الكوني في رواياته العديد من الملاحم والأساطير الصوفية والعربية، وتلك التي تشكلت في وجدان الطوارق من خلال نقد مادي للثقافة الرأسمالية التجارية الاستهلاكية. إن الروايات الثلاثة السابق ذكرها تقدم للقارئ البيئة الصحراوية؛ بحيواناتها، ونبتاتها، بأًنسها وجنّها، متعايشة متساوية مع بعضها البعض. وقد ساعده على ذلك انتماؤه إلى الطوارق ومعرفته بثقافتهم.   
 ومن الروائيين في ليبيا **خليفة حسين مصطفى** (1944 ـ 2010) الذي يتميز بميله نحو تحريض المجتمع ودفعه نحو الحداثة الاستفزازية ونقد واضح للمتعارف عليه والقيم التقليدية. وقد نشر خمس روايات انتقد فيها المسكوت عنه من المحظورات الاجتماعية، والدينية والجنسية في المجتمع الليبي: (المطر والخيول الطينية 1981)، (عين الشمس 1982)، (ليالي نجمة 1990)، (الجريمة 1993 )، (الأرملة والولي الأخير 2000).

**ج/ الرواية الموريتانية:**

تأخر ظهور الرواية في موريتانيا نسبيا قياسا إلى باقي الدول المغاربية. وقد كان ميلادها على يد الشعراء، حيث صدرت أول رواية موريتانية سنة 1981بعنوان "الأسماء المتغيرة" للشاعر **أحمد ولد عبد القادر**، وهو رائد الشعر الموريتاني الحديث. وقد كتب بعدها رواية "القبر المجهول" عام 1984. ثم صدرت رواية "أحمد الوادي" عام 1987 وهي **للشيخ ماء العينين بن شبيه**، وهكذا بدأت الرواية الموريتانية كتوثيق لمراحل سياسية، فقد كانت روايتا ولد عبد القادر: القبر المجهول، والأسماء المتغيرة توثيقاً للحركة الوطنية، إذ تؤرخ لانتفاضة موريتانيا ضد الاحتلال، ولصراعاتها الفكرية والإيديولوجية بعد الاستقلال. فهي رواية تطرح قضايا الهوية إعادة صياغة الشخصية الوطنية. ولذلك يعتبر الكاتب ولد عبد القادر أنّ رواية "القبر المجهول" كتابة للتاريخ على حساب بعض فنيات الرواية.

في عام 1996 أصدر **موسى ولد أبنو** رواية "مدينة الرياح" التي شكلت علامة فارقة في الرواية الموريتانية والعربية من الناحية الفنية، وقد عدّها البعض ضمن أفضل عشرين عملا أدبيا أنتجه الكتاب العرب في القرن العشرين. ثم نشر نفس الكاتب **ثلاثيته الحج** التي صدر جزؤها الأول عام 2005، وهي أول رواية موريتانية تتناول ظاهرة فريضة الحج، وتسلط الضوء من زوايا فنية حادة على ظاهرة دينية وإنسانية عمرها آلاف السنين. أما رواية "وادي النعام" للكاتب الصحافي **محمد بابا ولد أشفغ** الصادرة عام 2007 فتندرج ضمن تيار الرواية السياسية.

تتوزع الرواية الموريتانية على ثلاثة اتجاهات هي: **الروايات التاريخية**، وتتناول مراحل معينة من التاريخ السياسي والاجتماعي للبلد، ويمثلها أحمد ولد عبد القادر، **والروايات الفنية** ويمثلها موسى ولد أبنو، وتتناول الخيال العلمي وقراءة المستقبل السياسي، وصراع الحضارات ومعالجات فلسفية وفكرية. والصنف الثالث تمثله **الروايات الواقعية** والتي تتناول الواقع المعيش ضمن دائرة الحركة الاجتماعية. ويجمع هذه الروايات جميعا وعلى اختلاف أساليبها وأهدافها والقضايا التي تعالجها المكان البدوي (الوديان، القفار، الرمال، الجبال، مضارب الأحياء البدوية، القوافل، الترحال...)، كما يبدو الزمن عنصرا صادما في أغلب هذه الروايات، ويتجلى بشكل كبير تأثير المناخ في الحياة والصراع من أجل البقاء (القحط، الفقر، البطالة، النزوح إلى المدينة، العيش في الأحياء الشعبية.. )، ويسود في الروايات الأكثر تميزا نوع من القلق المشترك من مستقبل البلد في ظل تحولات عرقية واجتماعية وسياسية.

**أهم المراجع:**

* طرشونة محمود، من أعلام الرواية في تونس، مركز النشر الجامعي، تونس،2002 .
* القاضي محمد،دراسة في الرواية التونسية، دار سحر، تونس، 2005.
* الكيلاني مصطفى، مختارات من الرواية التونسية، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1990.
* عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب.
* سمر روحي الفيصل: دراسات في الرواية الليبية.